بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ

الإصدار 3
1445

الدَّلِيلُ الإِرْشَادِيُّ لِكِتَابَةِ القَصِيدَةِ المِنْبَرِيَّةِ

ماجد فؤاد الحاج
حسن العالي

١٤٤٥هـ - ٢٠٢٤م

قرية عالي
مملكة البحرين

يهدى ثواب هذا العمل إلى روح
الحاج حسن بن علي العالي
وحرمه
خديجة ابراهيم الأسود

الدليل الإرشادي لكتابة القصيدة المنبرية
من خلال
خصائص الشعر الحسيني المنبري

يُعَدُّ الشعر الرثائي الحسيني موضوعاً وغرضاً أدبياً وفنياً رحباً شكّل بضخامة نتاجه وامتداد عمره الزمني الضارب في التاريخ مدرسةً فريدةً لها روادها وخصائصها وألقها الخاص ، امتدّ بامتداد واقعة عاشوراء وانطلق بانطلاقة الثورة الحسينية الخالدة ، موضوعه الأساسي رثاء سيد الشهداء الإمام الحسين ابن علي وآباءه وأبناءه وأنصاره عليهم أفضل الصلاة والسلام وامتزج الرثاء فيه بشعر المديح والحماسة والهجاء ، وقد اتسَعَ سعةً قل نضيرها حتى أنك لا تجد مرثياً رُثِيَ على مدى العصور بقدر ما رُثِي به الحسين سيد شباب أهل الجنة ، حتى غدى الحسين أيقونةً أدبية لكل أحرار العالم ورمزاً إنسانياً تنشدُّ له عواطف البشرية وتنجذب لعدالة قضيته كل الألباب المنصفة .

منذ القرن الهجري الأول فالثاني فالثالث حيث الفرزدق ، والكميت الأسدي ، ودعبل الخزاعيّ وأبو الأسود الدؤلي وغيرهم كانوا ينسجون خيوط هذا الرثاء الفريد .

مروراً بالقرن الرابع والخامس والسادس الهجري حيث يطالعنا أبو فراس الحمداني ، والشريف الرضي ، والشريف المرتضى ، ومهيار الديلمي وغيرهم بقصائد حسينية غرّاء قل نضيرها .

حتى القرن السابع للتاسع حيث يبرز لنا رثاء ابن أبي الحديد ، الذي أنشد راثياً :

وَلَقَد بَكَيتُ لِقَتلِ آلِ مُحَمَّد ... بِالطَفِّ حَتّى كُلُّ عُضوٍ مَدمَعُ
تَاللهِ لا أنسَى الحُسَينَ وَشِلوُهُ ... تَحتَ السَّنابِكِ بِالعَراءِ مُوَزَّعُ

والحافظ البُرسي الحَلّي وغيره .

وصولاً للقرن العاشر إلى الثالث عشر حيث السيّد حيدر الحلّي والشيخ يوسف البحراني والشيخ عبدالله الشبراوي والسيّد بحر العلوم (محمّد مهدي الطباطبائي البروجردي) وغيرهم .

أما في القرن الرابع عشر والخامس عشر فهاهو السيّد جعفر الحلّي ، وكاشف الغطاء ، وحتى نزار قبّاني ، وأحمد شوقي ، وعبدالحسين الأزري ، ومحمّد مهدي الجواهري ينظمون في الحسين (ع) نفائس الشعر وفرائد الأدب .

وحيث أننا نسلطَّ الضوء هنا على الشعر الحسيني المنبري تحديداُ فلن يدور الحديث عن كل ما قيل في الحسين (ع) شعراً فسيخرج من دائرة البحث بعضه مثل الأرجوزات التي ارتجز بها شهداء الطف وما خطته أنامل الشعراء لأغراض متنوعة وفقاً لاتجاهات أدبية وتيارات متعددة أو مقطوعات وقصائد مختصة بمحافل وطنية ودينية عامة جاء فيها ذكر الحسين لا على سبيل الرثاء المنبري .

وصحَّ أن نسمي هذا الشعر بالشعر الحسيني من باب التغليب لا غير وإلا فالشعر المنبري الرثائي يعم رثاء محمد وآل محمد والأولياء الصالحين إنما عندما كانت القضية الحسينية أجلى مظاهر هذا الرثاء الشعري وأكثرها طرقا وأوسعها تفصيلا فيمكن مجازاً من باب إطلاق الجزء وإرادة الكل أن نسميه (الشعر الحسيني) .

وحيث أن الحديث متمحض في الشعر المنبري الرثائي لمحمد وآل محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين عموماً والرثاء الحسيني منه خصوصاً والذي كان يُنشد لهذا الغرض وخصوصاً على ألسن الخطباء والشعراء في المحافل الحسينية مبتعدين عن أنواع رثائية أخرى كقصائد اللطمات والردات الحسينية وقصائد المديح وشعر المنصات ، يحسنَّ بنا الوقوف على محددات هذا الشعر وخصائصه وميزاته ومبادئه من حيث الشكل والمضمون وفق منهج وصفي لعموم ما رُثي به الحسين وآباؤه الأطهرون وأبناؤه المصطفَون(ع) عبر القرون السالفة وصولاً لإطار نموذجي يمكن الاسترشاد به لكتابة القصيدة الرثائية المنبرية وخصوصاً الحسينية منها علماً أن النص المنبري يضم تحتَ جناحيه كل ما هو ممكن ومتناسب مع المنبر والجانب الرثائي الذي يضطلع به خطباء المنبر تحديداً فيشمل مدارساً متعددة منها الشعر الكلاسيكي والرومانسي والواقعي بما يناسب المقام ولكن بعد أن نقف على تعريف مبسّط للقصيدة الرثاية المنبرية .

القصيدة الرثائية المنبرية :

هي نوع من النصوص الشعرية التي ينشدها خطباء المنبر الحسيني في الحسينيات والمآتم غالباً عند إقامة مجالس العزاء إحياءاً لذكريات شهادات ووفيات المعصومين والأولياء إنشاداً تمتزج فيه الكلمة بأسلوب لحني متناسب مع جو النعي والندبة ويتشارك في ترددها غالباً جمهور المعزين . وقوام القصيدة الأساسي الرثاء والنعي وذكر المصائب وتفصيل الجراحات استدراراً للدمعة وإحياءًا لشعيرة البكاء على محمد وآل محمد (ص) لما جرى عليهم من فوادح الكربات والظلم الذي حاق بهم والرزايا والبلايا التي وقعت عليهم وعلى أتباعهم ، ولا يخلو من ذكر مقاماتهم المقدسة والانتصار لحقانيتهم والتعريض بظالميهم والبراءة منهم ، مما يثير عبر العاطفة صدق الانتماء ومشاعر الولاء والحس العقدي ومكامن الأفكار وصولاً للانتصار لهم بالقول والفعل ، وتتميز كثير من هذه القصائد بالذهاب لأغراض متنوعة مع الرثاء تناسب مع مجالس التعزية كالندبة والحماسة والمديح وأيضا الهجاء للأعداء في أنماط متنوعة بين الوصف والسرد غالباً .

وقد التزمتْ جلُّ المرثيات بشكل القصيدة العربية العمودية الموزونة على بحور الشعر العربي المعروفة وبأوزان الشعر الشعبي المتعارفة ، والمقفاة بنظام ثابت للقوافي حتى لو تعدّت لأشكال متنوعة في استخدام القوافي كنظام المربعات والموشحات حيث تتنوع القوافي في القصيدة بنظام ثابت ومحدد كملحمة الدمستاني والقصائد الفائزية وما شاكلها .

وينشد هذا الشعر في مجلس عادةً يدوم قرابة الساعة ويتقسم في الأعم الأغلب ثلاث أقسام ، نعي المقدمة ، فالمحاضرة ثم نعي الختام . وبحثُنا في القسم الأول والثالث المعني بالرثاء والنعي . فتكون مجموع القصائد التي تقرأ في القسم الأول محددة زمنيا بقرابة العشر دقائق إلى ربع الساعة وكذلك القسم الثالث ، تقل وتزيد ، يتخللها تعليقٌ نثري

من الخطيب وسردٌ لمواقف من السيرة المختصة بالمصيبة وحوارات متناسبة مع الموقف والمشهد السردي يكون متصاحبا مع التردد الجماهيري وممتزجاً بالبكاء والآهات والزفرات .

وتكتب هذه القصائد باللغة العربية الفصيحة أحياناً وأحياناً باللهجة الشعبية الدارجة ، وعادةً يبدأ الناعي بالشعر الفصيح بشكل منفصل ثم يتحوّل للهجة الشعبية بقصيدة منفصلة يربطهما حسن التخلص ويحدث أن تتمازج الأشعار تناوباً بين الفصيح والشعبي .

ونظراً لاختصاص المجالس بمناسبة محددة فالنصوص الشعرية المنبرية في الأعم ملتزمة بالدوران حول الشخصية المحورية للمناسبة ومتعلقاتها والأحداث التي تدور حولها لا سيما في القصائد الحسينية في مواقيتها المحددة ولياليها المختصة بشخصية يتم التركيز عليها أو حدث يدور المجلس عليه كشخصية العباس ابن علي أو علي الأكبر أو مناسبة حرم الحجاج وخروج الحسين من مكة أو وصوله لكربلاء أو هلال محرم أو ليلة الأنصار وهكذا .

مقومات وخصائص الشعر الحسيني المنبري :

من ناحية المفهوم والمضمون :

تميزت القصيدة الحسينية الرثائية المنبرية بمميزات أهمها :

١- التركيز على البعد الرثائي وغلبة مشاعر الحزن والأسى والتفجّع على ما جرى من مصائب على أهل البيت (ع) .

٢- غلبة العاطفة على النص بما له من أثر كبير في تفاعل المتلقي وتجاوبه بالنعي والبكاء والتعاطف مع المصيبة والقضية موضوع القصيدة ، عاطفة ممزوجة بطاقة تعبيرية مبنية على أسس فكرية وعقائدية ثابتة غايتها العليا نصرة الدين .

٣- التعبير عن الإنتماء والولاء والفداء لصاحب المناسبة وتضمين أسمى القيم الدينية والإنسانية التي سعى من أجل تحقيقها والانتصار لها .

٤- القصيدة نتاج إبداعي مرتكز على وقائع تاريخية حقيقية وواقعية وسيرة ثابته تحكي في أغلبها ما جرى من تفاصيل جرت وذكرتها كتب السير والتاريخ المعتبرة ولا تخلو من الخيال الإبداعي الذي يتيحه لسان الحال للشاعر وفقاً للمقررات الشرعية والتي لا تتعارض مع قدسية المعصوم خصوصاً .

٥- موضواعاتها تتمحور حول المناسبة والشخصية الرئيسية وما تتفرع عنها من أحداث ومواقف ولا تتغافل القيم العليا التي من أجلها قدمت أغلى التضحيات .

٦- من خلال الصورة الفنية واللغة والأساليب وحتى المعجم تقوم القصيدة بوظيفة منبرية تتناسب مع جو الإحياء الحسيني ولها وضيفتها البيانية والتأثيرية والدينية المبدأية من حيث أنها :

أ- توضّح الحقائق التاريخية وتبيّن الظلامات وتفصّل المجريات .

ب- تنتصر للحق وتتبرأ من الباطل وترفع راية الدين والقيم تخليداً للشهادة وتمجيداً للفتح الحسيني الإلهي .

ت- تهيّج المشاعر مودةً لمحمد وآل محمد (ص) وتحسّراً على ما جرى عليهم من

الفوادح إنكاراً لها وغضباً على المتسبب بها .

وقد تحتوي القصيدة على بعض هذه المقومات دون غيرها حسب مقتضيات النص وما يتطلبه الموقف والمناسبة .

من ناحية الشكل :

وصولاً لهذه المضامين جرت القصيدة وفق شكل له أطره المحددة يراعيها الشاعر تناسباً مع الأجواء الخاصة للمجالس والفنيات العامة لنجاح أي قصيدة والتي يحسن الإشارة لها (من حسن الاستهلال ، وحسن التخلص ، وحسن الختام ، والموسيقى الداخلية والخارجية ، والصور المتناسبة مع الموضوع «الرثاء الحسيني مثالاً» ، واللغة القريبة من المتلقي التي تضمن التأثير المباشر ، والسلامة اللغوية ، والمعجم والمفردات المتناغمة مع الغرض الشعري وهو هنا الشعر الحسيني المنبري ، والفكرة وجدّتها ، واللغة والأساليب المتنوعة)

أمّا فيما يخصّ شكل القصيدة المنبرية فالغالب من تقاليدها يجري على النحو التالي :

١- التحليق بجناحي الشعر ؛ الفصيح منه والشعر الشعبي الدارج .

٢- إعتماد النظام العمودي في وزن القصيدة وفقاً لبحور الشعر المعروفة سواءً بحور الشعر العربي منها أو أوزان الشعر الشعبي والمنثقة عادةً من البحور العربية ، والإلتزام بقافية واحدة أو تعدد القوافي وفق نظام ثابت كنظام المربعات في الفائزيات مثالاً .

٣- تؤدي الصور الشعرية دور أساسي في بيان مضامين الرثاء الحسيني وإحداث التأثير في المتلقي تفاعلا وإقناعاً بما يتناسب مع هذا النوع من الشعر وما له من خصوصيات فليست كل صورة ملاءمة للمنبر وليس كل خيال متاح لهذا الرثاء وما يتعلق به من مختلف الموضوعات والأغراض الشعرية كالحماسة والندبة وحتى المديح وغيرها .

٤- في الغالب للقصيدة في المجلس وقت محدد إما في بداية المجلس أو في ختامه ولكل منهما خصائصه فقصدية البداية قصيدة قريض باللغة الفصحى وهي افتتاح المجلس وفيها تهيأة للمصيبة ومقدمة لأبيات النعي الشعبية وقصيدة الخاتمة في غالبها تكون شعبية ويكون فيها تفصيل المصيبة بشكل أكثر وجرعات الحزن تكون فيها أكبر .

٥- القصيدة التي تتم قراءتها في المنبر محدودة في عدد الأبيات لتتناسب مع الوقت وكثيراً ما يتم قراءة أجزاء من النص الأصلي إذا كان طويلاً ويحسن بمن يكتب خصيصا للمنبر مراعاة ذلك (وعادة ما يكون عدد الأبيات ١٠ أبيات تزيد وتقل) .

٦- القصيدة المنبرية قصيدة مركزة في صياغة مشاهدها وتناولها لموضوع محدد وشخصية معينة وما يتعلق بها في العادة والكثير منها يجري مجرى السرد والرواية الممزوجة بالحوار في الأغلب بما للسرد من عناصر المكان والزمان والأحداث والحبكة والعقدة وبنية سردية من وضع بداية وسياق تحول ووضع الختام سواءً في الشعر الفصيح و الشعبي .

٧- معجم المنبر معجم خاص ومفرداته مفردات مختارة بعناية متناسبة مع قداسة المعصوم وخصوصية الرثاء واعتبار أجواء المجالس الحسينية ويزيدها ألقاً الاقتباسات من الروايات والأحاديث والمأثور من الكلام والحكم والآيات .

٨- يزين القوافي ويجمّلها ويزيدها فاعلية سهولتها وسلاستها وتطعيمها بالقوافي المتوقعة

مما يزيد من فرص تجاوب المستمعين معها وسهولة ترددها .

٩- من أهم متطلبات القصيدة المنبرية مدى فاعلية النص في لغته وأسلوبه من حيث :

أ- **الوضوح** : باستخدام لغة مفهومة وواصلة تكون مفتاح باب التفاعل بين الخطيب والمستميعن .

ب- **الترابط** : بحيث يكون النص منسجم ومتسلسل بروابط لفظية ومعنوية تجعله متماسكاً وغير مفكك وغير مشتت .

ت- **التأثير** : وهو النتيجة المرجوة من القصيدة بإحداث التأثير والتفاعل مع المتلقي والذي يؤدي إليه النص بكل صوره وأساليبه ومفرداته ولغته وفكرته .

شواهد على الخصائص العامة لنجاح أي قصيدة :

ومن خلال الشواهد الشعرية من النصوص المنبرية تتجلى خصائص هذا الشعر بأجلى صورها نأتي على ذكرها تباعاً بعد الإشارة للخصائص العامة والتي ينبغي مراعاتها لنجاح أي قصيدة في أي موضوع من مواضيع الشعر سواءً كانت القصيدة للمنبر أو لغيره وفي الرثاء أو غيره من الأغراض الشعرية .

فكل قصيدة لابد أن تراعي عناصر عديدة في شكلها ومضمونها ولغتها وأساليبها الفنية هذه العناصر التي وضعتها الكثير من المسابقات الشعرية على قائمة المعايير التحكيمية للمفاضلة بين النصوص والتي من بينها :

١- حسن الاستهلال :

حُسناً جمالياً يعتني بالمعنى والمبنى ايقاعياً وبلاغياً وتركيبياً ومعجمياً ، فلا يغفل الجانب الموسيقي كالتصريع أو سواها من الظواهر الأيقاعية أو المحسنات البديعية ويجذب المتلقي من جهة ومن جهة أخرى يأخذ بانطباعه الأول لصالح النص ويصب في خدمة الموضوع ويهمنا هنا الموضوع المنبري بشكل فعّال ، كقول السيد جعفر الحلي :

وجه الصباح عليٌّ ليلٌ مظلمُ وربيع أيامي عليٌّ محرمُ

حيث الصورة البلاغية البديعة في الاستعارة المكنية في (وجه الصباح) ، والمحسنات البديعية كالتضاد في (الصباح وليل) وفي (ربيع ومحرم) والتكرار في (عليٌّ) والتصريع في (مظلم و محرّم) وما سوى ذلك من اتساق المفردات ووضوحها وجمال المعنى في فكرته وصياغتها والنسق المتوازي في الشطرين (الصباح عليٌّ ليل والربيع عليٌّ محرم) وكل ذلك أدى وظيفته لخدمة الموضوع الرثائي أجمل وأكمل أداء فلا غرو أن يكون التأثير في أبلغ صوره .

وقوله :

الله ايُّ دم في كربلا سُفِكا لم يجرِ في الأرض حتى أوقف الفلكا

وكقول السيد جعفر الحلي :

يا قَمَر التم إلامَ السرارْ ذابَ مَحبوك مِن الانتظارْ

وكقول الحاج هاشم الكعبي :

ما انتظار الدمع أن لا يستهلا أو ما تنظر عاشوراء هلا

وفي الشعر الشعبي يقول ملا عطية الجمري :

غاب البدر واتكوّرت شمس المضيّه وارتفع راس حسين فوق السّمهريّه
غرّة جبين حسين لاحت فوق عسّال شمس الوجود يصير جنها مطلع هلال
أرض وسما تزهر بنوره قبل ينشال وبس ارتفع شعّت سماوات العليّه

ويقول عن العباس ابن علي (ع) :

حدّر قمر هاشم على جيش العدا وصال رمحه المنيّه وصارمه بتّار لاجال

ويقول ملا علي بن فايز :

ويلي على بدر انخسف في أرض لطفوف غاب أُو ظهر لكن بين أرماح واسيوف

وله أيضاً :

شالوا ابراس اِحسين كنّه مطلع اهلال أُو قبله ماشفنا اهلال يطلع فوق عسال

وله :

روسٍ على روس الاسنه كالمصابيح أُوهالراس فيهم كالبدر تلعب به الريح

ويقول الشيخ بن نصّار :

طاح ايمين أبو فاضل والأيسر خطف جوده ابحلگه و للخيم فر

٢- حسن التخلص :

فمعض مقدمات القصائد العامة تحتاج لفن حسن التخلص لانتقال الفكرة من المقدمة للموضوع الأساسي كقول السيد حيدر الحلي بعد مقدمة طويلة تحكي عن حزنه العميق يقول في مطلعها :

تركتُ حَشاكَ وسلوانَها فخلٍّ حشايَ وأحزانَها

إلى أن يقول :

فقلت سلوتُ إذاً مهجتي إذا أنا حاولت سلوانَها
كفاني ضناً أن ترى في الحسين شفت آل مروان أضغانَها

وكقول الشريف الرضي :

خفّض عليك فللأحزان آونة وما المقيم على حزن بمعذورِ
فقلت هيهات فات السمع لائمه لا يعرف الحزن إلا يوم عاشورِ

٣- حسن الختام :

كقول السيد جعفر الحلي في أواخر ميميته والتي تضمنت حكمة جارية مجرى المثل :

هَوَّنتَ يابنَ أبي مصارعَ فتية والجرحُ يسكنه الذي هو آلمُ

٤- الموسيقى الداخلية والخارجية :

أما الموسيقى الخارجية فالكتابة على بحور الشعر المعروفة وتوحيد القوافي كميمية السيد جعفر الحلي (وجع الصباح) وكافيته (الله أي دم في كربلا سفكا) وعينية السيد حيدر الحلي (الله يا حامي الشريعة) وغيرها ، أو تنوع القَّوافي حسب النظام الذي يختاره الشاعر ، ومن تنوّع القوافي ما جرت عليه محلمة الدمستاني التي استهلها بقوله :

أحرم الحجاج عن لذاتهم بعض الشهور و أنا المحرم عن لذاته كل الدهور
كيف لا احرم دأباً ناحراً هدي السرور وانا في مشعر الحزن على رزء الحسين
ضمني عندك يا جداه في هذا الضريح علني يا جد من بلوى زماني استريح
ضاق بي ياجد من فرط الأسى كل فسيح فعسى طود الاسى يندك بين الدكتين

أما الموسيقى الداخلية فمنها :

التضاد كقول السيد جعفر الحلي :

عبست وجوه القوم خوف الموت وال عباس فيهم ضاحك متبسمُ

وقوله :

ما خلت أن الدهر من عاداته تروى الكلاب به ويظمى الضيغمُ

وقوله :

قلب اليمين على الشمال وغاص في ال أوساط يحصد في الرؤس ويحطمُ

والتكرار في قوله :

أأخيَّ يهنيك النعيم ولم أخل ترضى بأن أرزى وأنت منعم
أأخيَّ من يحمي بنات محمد إن صرن يسترحمن من لا يرحمُ

وكقول السيد هاشم الستري البحراني :

وسل أراس حسينٌ غاب رونقه أم نوره مخجلٌ للشمس والقمرِ
وسل عن اللؤلؤ المنظوم في فمه لعله بعد قرع غيرً منتشرِ
وسلهم عن جبين كان منتجعاً من الرسول بتقبيل الرسول حريَ

وفي قوله :

وابكوه يرنو شطوط الما ومهجته في حرة لم يطقها طاقة البشرِ
وابكوه يلثم أطفالاً ويرشفها مودعاً ودموع العين كالمطرِ
وابكوه إذ صار مأوى النبل جثته وصدره مركز الخطية السمرِ
وابكوه أذبل وجه الأرض من دمه وخرَّ عن متن برج السرج كالقمرِ

وابكــوه والــشمر جــاث فــوق مــنكبه يحــز رأســاً سمــا عــن كــل مــفتخرِ
وابــكــوه والــذابــل الخــطى محــتملاً رأس الجــلال ورأس المــجد والخــطرِ

وفي الشعر الشعبي قول ملا علي بن فايز :
حطّوا على هالوادي حطّوا على هالوادي يا عزوتي يا رجالي حطّوا على هالوادي

والجناس في قوله :
هــل الطــرواة فــي الــوجه الــوجيه لــه أم غيــرتــها ليــالــي الــســود بــالــغــيرِ

وفي قول الدمستاني :
بطل فرد من الجمع على الأبطال طال أسد يفترس الأُسْد على الآجال جال
ماله غير إله العرش في الأهوال وال ما سطى في فرقة إلا تولت فرقتين

وفي قول السيد جعفر الحلي الذي جمع بين الجناس والتكرار في بيت واحد :
مَتى نَرى غلب بَني غالب يَدعون للحَرب البدار البدار

وفي قول الملا علي بن فايز :
فازت عبيد ابها أو منها خابت احرار او منهم نصارى والسعد سواهم أنصار

وحسن التقسيم وتوازي العبارات :

في قول السيد جعفر الحلي :
فــي كــفــه الــيــسرى الــسقــاء يــقــله وبكفه اليمنى الحسام المخذمُ

وفي قول السيد جعفر الحلي :
مَتى نَرى بيضك مَشحوذةً كَالماء صافي لَونَها وَهيَ نار
مَتّى نَرى خَيلك مَوسومةً بِالنَصر تَعدو فَتُثير الغبار

الصور المتناسبة مع الموضوع (الرثاء الحسيني مثالاً) والتي تتميز بالجمال والتأثير والتي تخدم الغرض الشعري موضوع النص بشكل إبداعي وسيأتي الحديث مفصلاً عنها .

واللغة القريبة من المتلقي التي تضمن التأثير المباشر والتي من أبرز شواهدها عموم ملحمة الدمستاني والكثير من الشعر الشعبي والمتميز بقربه من وجدان الجمهور .
والمعجم والمفردات المتناغمة مع الغرض الشعري .
والأساليب اللغوية المتنوعة والتي غالباً ما تؤدي دور وغرض بلاغي :

كالنداء في قول السيد هاشم الستري البحراني :
يا دافني الرأس عند الجثة أحتفظوا بالله لا تنثروا تربا على قمرِ

والنفي في قوله :

لا تدفنوا الرأس الا عند مرقده فإنه جنّة الفردوس والزهرِ

والأمر في قوله :

رشوا على قبره ماء فصاحبه معّطش بللوا احشاه بالقطرِ

والإستفهام في قول الدمستاني :

أحسين خر أم برج السماك السابح
أم هو البدر وقد حل بسعد الذابحَ
ام هو الشمس وأين الشمس من نور الحسينَ

وبقية الأساليب كالتعجب والتمني والترجي والمدح والذم والقسَم من الأساليب الإنشائية وكذلك الأساليب الخبرية ومنها النفي والإثبات والشرط وغيرها بما يتناسب مع المعنى ويخدمه ويحقق أغراضه .

والفكرة وجدّتها والسلامة اللغوية وسواها من معايير تميّز القصيدة .

والآن نخصص الحديث عن خصوص مميزات القصيدة المنبرية الرثائية وخصائصها في الشكل والمضمون مع استعراض بعض الشواهد الشعرية :

خصائص القصيدة المنبرية :

تتميز القصيدة المنبيرية بخصائص من خلال بعدين ، البعد الأول المضمون والبعد الثاني الشكل نأتي عليهما بالتفصيل :

- خصائص مضمون القصيدة المنبرية :

١- التركيز على البعد الرثائي وغلبة مشاعر الحزن والأسى والتفجّع على ما جرى من مصائب على أهل البيت (ع) ونخص الإمام الحسين في هذا المقام .

كقول السيد الحميري :

أمرر على جدث الحسين وقل لأعظمه الزكية
يأعظاما لا زلت من وطفاء ساكبة روية
ما لذ عيش بعد رضَك بالجياد الأعوجية
قبر تضمن طيباً آباؤه خير البرية
فإذا مررت بقبره فأطل به وقف المطية
وابك المطهر للمطهر والمطهرة الزكية

كبـــكـــاء معـولة غـدت يـــوما بواحـــدها المـنية

وكقول دعبل الخزاعي :

افاطـم لـو خـلت الـحسين مجـدلا وقـد مـات عطشـانا بشـط فـرات
إذا لـلطـمت الخـد فـاطـم عنـده وأجريـت دمـع العـين في الوجنـاتِ

وكقول الشريف الرضي :

كـربـلا لا زلـت كـرباً وبـلا مـا لـقي عـندكِ آل الـمصطفى
كـم عـلى تُـربكِ لـما صُـرعوا مـن دمٍ سـالَ ومـن دمـعٍ جـرى

وكقول السيد رضا الهندي :

إن كان عـنـدك عـبـرة تجريـهـا فانـزل بـأرض الـطف كـي نسـقيـها

إلى أن يقول :

هـذي نسـاؤك مـن يكـون إذا سـرت في السـر سـائقها ومـن حاديها
أيسـوقها زجـر بضـرب متنوهـا والشـمر يحدوهـا بسـب أبيهـا

وكقول السيد حيدر الحلي :

ومـما يزيـل القلـب عـن مسـتقره ويتـرك زنـد الغيـظ في الصـدر واريـا
وقـوف بنـات الوحـي عنـد طليقهـا بحـال بهـا يشـجين حتـى ألأعاديـا

وكقول الشيخ حسن الدمستاني :

فمـن الواجـب عيناً لبس سربال الأسى واتخـاذ النـوح ورداً كل صبـح ومسـا
واشـتعال القلـب احزانـاً تذيـب الأنفسـا وقليـل تتلـف الأرواح فـي رزء الحسيـن

وكقول الشيخ صالح الكوّاز :

خُضبـوا ومـا شَـابُوا وكان خِضَابُهُـم بـدَم مـن الأوداج لا الحَنَّـاء
أطفَالهـم بَلَغُـوا الحُلُـومَ لِقُربهـم شَـوقًا إلـى الهيجـاء لا الحَسـنَاء
وَمُغَسَّـلِينَ وَلا مِيَـاهَ لهـم سَـوى عبـرات ثكلـى حَـرَّة الأحشـاء
أصواتُهـا بُحَّـت وَهُـنَّ نَوائِـحٌ يَندِبـنَ قَتلاهُـنَّ بالإيمـاءِ

وكقول الحاج هاشم الكعبي :

كيـف مـا تلبـس ثـوب الحزن في مـأتم أحـزن أمـلاكاً ورسـلا
كيـف مـا تحـزن في شـهر بـه أصبحـت فاطمـة الزهراء ثكلى
كيـف مـا تحـزن في شـهر بـه أصبحـت آل رسـول الله قتلـى
كيـف مـا تحـزن في شـهر بـه ألبـس الإسـلام ذلا ليـس يبلى
كيـف مـا تحـزن في شـهر بـه رأس خيـر الخلـق في رمح معلى

٢- غلبـة العاطفـة علـى النـص بمـا لـه مـن أثـر كبيـر في تفاعـل المتلقـي وتجاوبـه بالنعـي والبـكاء والتعاطـف مـع المصيبـة والقضيـة موضـوع القصيـدة ، عاطفـة ممزوجـة بطاقـة تعبيريـة

مبنيـة علـى أسـس فكريـة وعقائديـة ثابتـة غايتهـا العليـا نصـرة الديـن .

فهذا السيد حيدر الحلي ينعى :

أنـاعي قتلـى الطـف لا زلـت ناعيـا تهيـج علـى طـول الليالـي البواكيـا
أعـد ذكرهـم في كربـلا إنَّ ذكـرهم طـوى جزعـاً طـي السـجل فؤاديـا

وهذا السيد رضا الهندي يمزج النعي بالهدف الديني الأسمى :

كيف يصحو بما تـقول اللواحي مـن سقته الهموم أنكـد راح
كيف تهنيني الحياة وقلـبي بعد قـتلى الطفوف دامي الجراحِ

إلى أن يقول :

لـست أنـسى مـن بعدهـم طـود عـز وأعـاديـه مـثـل سيـل البـطاح
وهـو يـحمي ديـن الـنبي بـعضب بـسنـاه لظلـمة الـشـرك مـاحِ

ويقول في نص آخر :

بأبـي الـتـي ورثـت مصائـب أمـهـا فغـدت تـقـابلهـا بصبـر أبيهـا

وهذا الشريف الرضي يقول :

يـا قـتـيلا قـوّض الـدهر بـه عـمـد الديـن وأعـلام الـهدى
قتلـوه بـعـدَ عـلـمٍ منـهمُ أنـه خـامسُ أصـحاب الـكسا

وعـن عنصـر العاطفـة في الشـعر الشـعبي فهـو ملـيء بشـواهد يضيـق عنهـا المقـام وتصـدح بهـا المنابـر وينـدب بهـا الخطبـاء ، ومنهـا مـا قالـه مـلا عطيـة الجمـري علـى لسـان الحـوراء زينـب وهـي تخاطـب الحسـين بعـد مصرعـه :

سـور الحـرم يـحسين لا تـجذب الونّات بـلكت يَـعزْنا امـن الـحرم تـهدأ الـرّنّات
ودّي أوصّـل مـصـرعك وانـجـدل ويّـاك لـكـن اشبـيدي لازمـه اذيـالي يـتاماك
لـو يـقدر الـسجّاد يـنهض جـان جيناك خـدّك نـوسده وبـالدّمع نـغْسل الـطّبرات

ويقول على لسان أم الرضيع بعد استشهاده :

يـبني اسـهَرتْ لـيلي وعِـفت النّوم برباك ولاغـمّـضت عـيني و لا سـاعه بـليّاك
أمّـلـت عـمـري يـنقضي يـالولد ويّـاك وخـابـت اظنـوني آه يـافَـقْد الـولـد آه

ويقول في الوداع :

مـقدر أعـاين وحـشة الاوطـان يحسـين ودّعـتك الله انـهد ركـني يـاضيا العـين
بـالله دخبّـرني يـخـويه الـقصد لاويـن وحـدي تـخـلّيني وتـسافر بـالصّناديد

وفي الشكوى والندبة يقول :

ويـنك يـقايد نـاقتي ظـعن الـحرم شـال حـرمه وغـريبه ومـبتليّه بـحرم واطفـال

وفي الشكوى الممزوج بتعداد المصائب يقول :

ويّـاالغرب يـحسين والله صعـب ممشـاي شـالبصر يـاهو الـلّي يبـاري الحـرم ويّـاي
هـالسّفر يَـبن امّي صعب والحادي أصعب الـحرمه مَتقدر لـو خفقها السّوط تنحب
و امّـا الـذي اتـنخّي علي الكـرّار تنسب والـدّرب شـب لاهـوب لارايح ولاجاي
لـو طـاحت الـطفله يخويـه امتحـن بيهـا مـحّـد يـركّبـها و لا يـشـفق علـيها
مـا غـير حـادي اظـعونّا ابْسوطه يجيهـا ايـورّم مـتنها وتـنتخي ولاتشوف حمّاي
ويّـا الـغرب خويـه صعـب ممشى الغريبـه و الـقـوم مـا بـيهم زكـي و امّـه نـجيبه
كـلـما مشـينا قـالـوا الـكوفه جـريبه والنّوق يزعجها الرّجس لـو قلت بهداي

ومـن النصـوص مـا يجمـع بـين العاطفـة الجياشـة والحـزن العميـق ومشـاعر الحيـرة والوحـدة في نمـط وصفـي سـردي يختطـف القلـوب وفي تسلسـل لا يدعـك حتـى تكمـل الاسـتماع للنـص وللشـجى العميـق الـذي يحتويـه ومـن ذلـك قصيـدة المـلا عطيـة الجمـري :

الـخيـم يـحسـين مـحروقه وانـا هـوّد علـيّه الـلـيل
وراســك راح لـلـكوفـه وجسـمك رضّضـته الـخيل
رضـيـت بـليـلة الـعشـره وشـدايدهـا ولا دامـت
وجـم مـرّت علـيّه اليـال مـنّـي الـعيـن مـا نـامـت
ويـن الـنّـوم والـقعـده وهـاي ايـتـامكم هامـت
شـي ماتـت مـن الـرّوعـه وشـي ظلّـت تحـن بـالويل
نـص الـليـل يَـبـن امّـي ولَـن طـفـلـه فـقدنـاها
أثـاري فـرّت بـدهشـه تـحـوم ومـحّـد ويـاهـا
وحـدي اطلعـت ادوّرهـا وادوّر ويـن مـلـفاهـا
وشفـتـهـا ويـاك ممتـدّه وعلـى خَـدْها دمـعها يسيل
تـمنّـيـته يـدوم الـليـل ولـو هالحالـة الـقشـره
يـوم احدعـش يـوم الشّوم ريـتـه لا طـلـع فـجـره
انـكشف لـيّه الـضّوا ولاحت جـنـايـزكـم عـلـى الـغبـرا
وجـتـنـا الـنّـوق مـهـزولـه وحـادينـا يـصيـح نـشيـل
يـصيـح نـشيـل مَـتقلّـي يَـخويـه اشـلـون هالشّـيله
أدوّر لـلـحريـم سـتـور لـو تـركيـب هالعيـله
ضـاع البُـصُـر والتّدبـير خـويـه وقـلّـت الحيـله
واطـفـال الـفقدنـاهـا دفـنّـاهـا بـلا تغسيـل

وعـن دمـج المصيبـة بالقيـم ومبـادئ النهضـة الحسـينية في نصـرة الديـن يقـول مـلا عطيـة

على لسان حال الحسين (ع) :

دين العُلى لازم أجاهد في علاجه واتّداركه واعدل ابكل صوره اعوجاجه
يا رب انا مالي بعد بالعمر حاجه واترك الأمّه جاهليّه و تعبد اوثان

التعبير عن الإنتماء والولاء والفداء لصاحب المناسبة وتضمين أسمى القيم الدينية والإنسانية التي سعى من أجل تحقيقها والانتصار لها .

فاقرأ للسيد رضا الهندي :

بأبي من شروا لقاء حسين بفراق النفوس والأرواح
وقفوا يدرؤون سمر العوالي عنه والنبل وقفة الأشباحَ
فوقوه بيض الظبا بالنحور الـ ـبيض والنبل بالوجوه الصِباحَ

وله في نص آخر :

وجدوا الردى من دون آل محمد عذبا وبعدهم الحياة عذابا

٣- القصيدة نتاج إبداعي مرتكز على وقائع تاريخية حقيقية وواقعية وسيرة ثابته تحكي في أغلبها ما جرى من تفاصيل جرت وذكرتها كتب السير والتاريخ المعتبرة ولا تخلو من الخيال الإبداعي الذي يتيحه لسان الحال للشاعر وفقاً للمقررات الشرعية والتي لا تتعارض مع قدسية المعصوم خصوصاً .

الحقائق التي وثقها الشعراء لحادثة الطف ومنهم السيد رضا الهندي في وصفه لرأس الحسين (ع) :

يتلو الكتاب على السنان وإنما رفعوا به فوق السنان كتابا

ويقول الدمستاني عن تأذي النبي من بكاء الحسين (ع) في طفولته :

كان يؤذيه بكاه وهو في المهد رضيع بابنه قدماً فداه وهو ذو الشأن الرفيع
ليته الآن يراه وهو في التراب صريع يتلظى بظماه حافضاً بالقدمين

ويقول السيد جعفر الحلي في حال الحسين الشهيد القتيل الظمآن :

بأبي القَتيل وَغَسله علق الدما وَعَلَيه من أَرج الثَنا كافورُ
ظمآن يَعتلج الغليل بصدره وَتبلُّ لَلخطي منهُ صُدورُ
وَتَحكَّمت بيض السُيوف بِجسمه وَيح السُيوف فَحكَمهن يَجورُ
وَغَدَت تَدوس الخَيل مِنهُ أَضالعا سر النَبي بطَيها مَستورُ

وله في حال السبايا :

وعلى العيس من بنات عليٍّ نُوَّحٌ كلُّ لفظها تعديدُ
سلبتها أيدي الجُفاة حُلاها فخلى معصَمٌ وعطّلَ جيدُ
وعليها السياطُ لمّا تلوّت خلفتها أساورٌ وعقودُ

ومن الشعر الشعبي قول بن نصّار في وصف مصرع الرضيع :

تلگـــى احســـين دم الطفـــل بيـــده اشـــحال اليچتـــل ابحضنـــه وليـــده
ســـال وتـــرس چـــف مـــن وريـــده او ذبّـــه للســـما او للقـــاع مـــا خـــر

٤- موضواعاتها تتمحور حول المناسبة والشخصية الرئيسية وما تتفرع عنها من أحداث ومواقف ولا تتغافل معاني العزة والقيم العليا التي من أجلها قدمت أغلى التضحيات . فالرثاء هو الموضوع الأساس وتمتزج معه أغراض أخرى كالحماسة والندبة والمديح والهجاء وغيرها .

ففي الندبة يقول السيد حيدر الحلي :

أتنســـى وهـــل ينســـى فعـــال أُميـــة أخـــو نـــاظر مـــن فعلهـــا جـــد أرمـــدِ
فقـــم و عليهـــم جـــرد الســـيف وانتصـــف لنفســـك منـــهم بالحســـام المجـــردِ

وله أيضاً :

ألله يـــا حـــامي الشريـــعة أتقـــر وهـــي كـــذا مروعـــة
مـــات التصبـــر في إنتظـــا رك أيهـــا المحيـــي الشـــريعة

إلى أن يقول :

مـــاذا يهيجـــك إن صبـــرت لوقعـــة الطـــف الفضيـــعة
أتـــرى تجـــيء فجيـــعة بأمـــض مـــن تـــلك الفجيعـــة
حيـث الحسـين علـى الثـرى خيـل العـدى طحنـت ضلوعـه

ومن شعر الحماسة قول الدمستاني :

وأغـــار الســـبط للجلـــي بمأمـــون العثـــار إذ أثـــار الضمـــر العثيـــر بالركـــض فثـــار
يحسـب الحـرب عروسـاً ولهـا الـروس نثـار ذكـــر القـــوم بـــبدر وبـــأحد وحنيـــن

ومن شعر الحماسة والاستنهاض للهمم يقول السيد حيدر الحلي :

يـــا آل فهـــر أيـــن ذاك الشـــبا ليســـت ضباك اليـوم تلك الضبا

ويقول :

أ هاشـــمُ لا يـــوم لـــك إبيـــضَّ أو تـــرى جيـــادك تزجـــى عـــارض النقـــع أغبـــرا

ويقول :

إن لـم اقـف حيـث جيـش المـوت يزدحـم فـلا مشـت بـي في طـرق العلـى قـدم
عنـدي مـن العـزم سـر لا أبـوح بـه حتـى تبـوح بـه الهنديـة الخـذم

ويقول :

تـــروم مقـــام الـــعز والـــذل نـــازلُ ولـــم يـــك في الغبـــراء منـــك زلازلُ

وله :

قـف علـى البطحـاء وأهتـف ببنـي شـيبة الحمـد وقـل قومـوا عجـالا
كـم قـرار البيـض في الغمـد أمـا آن أن تهتـزَّ للضـرب إنسـلالا

ومن معاني العزة قول السيد جعفر الحلي :

بُشـرى بنـي فَهـر فَأبناؤهـم ماتـوا وَهُـم أَعلـى الـوَرى أَعيُنـا
لا يَلطِمـوا الأَيـدي وَحَـق لَهُـم أَن يَعقـدوا أَنديـةً للهَنـا
إِن الأُلـى في كَربَـلا صرعـوا نالـوا بـذاك اليَـوم أَقصى المُنى
بَاعـوا نُفوسـاً لَهُـمُ قَـد غلـت وَأَرخصَـوا مـن سـعرَها المثمنـا
وَاشـتروا العَليـاء نَقـداً بهـا وَمُشـتَري العَليـاء لَـن يُغبنـا
وَاجتنـوا العـز بِأَسـيافهم وَالعـز مـن أَطيـب مـا يُجتَنـى
وَكافحـت مـن هاشـم فتيـةٌ تَمنعهـا الأَحسـاب أَن تَجبنـا
لَكـن رَأَوا أَنّ بِـدار البَقـا نيـلَ الأَمائـي لا بِـدار الفَنـا

وعن الحماسة والشجاعة في الشعر الشعبي يقول ملا عطية الجمري :

صـوّل أبـوسكنه وحـيد ورج الاكـوان والـخيل واهـل الـخيل فـرّت مـن الميدان
قـحّـم وخـلاّ الـجيش يـتّطلب مـلاجيه والـشّمس غابت والعجاج أسدل دياجيه
وعـرّج علـى طـور الـمُهر لـله يـناجيه يـا رب أنـا لـلشّرع والـنّاموس قُـربان

٥- مـن خـلال الصـورة الفنيـة واللغـة والأسـاليب وحتـى المعجـم تقـوم القصيـدة بوظيفـة منبريـة بيانيـة وتأثيريـة ودينيـة مبدأيـة مـن حيـث أنهـا :

أ- توضّح الحقائق التاريخية وتبيّن الظلامات وتفصّل المجريات .

يقول السيد جعفر الحلي :

والـنـاس عـادت الـيـهـم جاهـليـتهم كـأن مـن شـرَّع الاسـلام قـد أفـكا
وقـد تـحكّـم بـالاسـلام طـاغـيـةٌ يـمسـي ويـصبـح بالـفـحـشاء مـنهـمـكا

إلى أن يقول :

لـئـن جـرت لـفـظـة الـتوحيد من فـمـه فـسيـفـه بـسـوى الـتـوحـيـد مـا فـتـكا
قـد أصبـح الـديـن منه يـشـتكي سـقماً ومـا إلـى أحـدٍ غـيـر الـحـسـين شـكـا

ب- تنتصـر للحـق وتتبـرأ مـن الباطـل وترفـع رايـة الديـن والقيـم تخليـداً للشـهادة وتمجيـداً للفتـح الحسـيني الإلهـي .

يقول السيد حيدر الحلي :

لقد وقفوا في ذلك اليـوم موقفـا إلى الحشر لا يـزداد إلا معاليـا

ويقول السيد جعفر الحلي :

أرادَت بَنـو سُـفيان فيهـم مَذلـة وَذَلِـكَ مِـن ابنـاك صَعـب التَنـاولِ

مَتى ذل قَوم أَنتَ خَلفت فيهم إِباء لَهُ يَندَق أَنف المجادل
نَعمت بهم عَينا فَقَد سارَ ذكرهم كَما قَد فَشا مَعروفهم في القَبائلَ
أَعادوكَ يَوم الطف حيّاً وَجددوا لعلياكَ ذكراً قَبل ذا غَير خاملَ
لَإن أرخصوا في كَربلاء نُفوسَهُم فَقَد أَغلوا الهَيجاء غلي المَراجلَ
فَلم تَفجع الأَيّام مِن قبل يَومهم بِأكرم مَقتول لأئم قاتلَ

وله :

ومذ اللهُ جلّ نادى هلمّوا وهُمُ المسرعون مهما نودوا
نزلوا عن خيولهم للمنايا وقصارى هذا النزولِ صعودُ

ج-تهيّج المشاعر مودةً لمحمد وآل محمد(ص) وتحسّراً على ما جرى عليهم من الفوادح إنكاراً لها وغضباً على المتسبب بها .

فمن *إثارة المودة لمحمد وآل محمد قول الدمستاني :*

حق للشارب من زمزم حب المصطفى أن يرى حق بنيه حرماً معتكفا
ويواسيهم والا حاد عن باب الصفا وهو من أكبر حوبٍ عند رب الحرمين

ومن التحسّر قوله :

بأبي أنجم سعد في هبوطٍ وصعودْ طلعت في فلك المجد وغابت في اللحودْ

وقوله :

بأبي أقمار تُمٍ خُسفت بين الصفاحْ وشموساً من رؤوس في بروج من رماحْ

وقوله :

لهف نفسي إذ نحا أهلَ الفساطيط الحصان ذاهلاً منفجعاً يصهل مذعور الجنان
مائل السرج عثور الخطو في فضل العنان خاضب المفرق والخدين من نحر الحسين

وقول الحاج هاشم الكعبي :

بأبي المقتول عطشاناً وفي كفه بحر يروي الخلق جملا
بأبي العاري ثلاثاً بالعرى ولقد كان لأهل الأرض ظلا
بأبي الخائف أهلوه وقد كان للخائف أمناً أين حلا

ومن التحسر في الشعر الشعبي تحسّر محمد ابن الحنفية على الحسين في شعر ملا عطية الجمري وهو ينشد :

يحسين سلطان البلد لو عزّم يشيل تطلع النّاس اتشيّعه و تسرج على الخيل
وانتَ يسلطان المدينه تطلع بليل يحسين ويّاكم اخذوني ياضيا العين

ومن الإنكار على الظلمة وإثارة السخط عليهم قول السيد حيدر الحلي :

أُميّة غوري في الخمول وأنجدي فمالك في العلياء فوزة مشهدِ
هبوطا إلى أحسابكم وانخفاضها فلا نسب زاكٍ ولا طيب مولدِ

وكقول أيضاً في موضع آخر :

ومما يزيل القلب عن مستقره ويترك زند الغيظ في الصدر واريا
وقوف بنات الوحي عند طليقها بحال بها يشجين حتى ألأعاديا

وقد تحتوي القصيدة على بعض هذه المقومات دون غيرها حسب مقتضيات النص وما يتطلبه الموقف والمناسبة .

- خصائص القصيدة المنبرية من ناحية الشكل :

وصولاً للمضامين المنبرية الرثائية جرت القصيدة الحسينية وفق شكل له أطره المحددة والخاصة والتي يراعيها الشاعر مضافاً للفنيات العامة لنجاح أي قصيدة والتي سبق الحديث عنها ، أما الخصائص المنبرية منها من حيث الشكل فالغالب من تقاليدها يجري على النحو التالي :

١-التحليق بجناحي الشعر ؛ الفصيح منه والشعر الشعبي الدارج .

فكما أبدع الشعراء في رثاء الحسين بشعرهم الفصيح كالشاعر السيد حيدر الحلي والسيد جعفر الحلي والسيد الحميري والشيخ حسن الدمستاني والسيد رضا الهندي وغيرهم أبدع شعراء الشعر الشعبي في ذلك ومنهم الملا علي بن فايز في فائزياته والملا عطية الجمرة في جمراته الودية و الشيخ محمد بن نصّار في نصارياته وغيرهم .

٢-إعتماد النظام العمودي في وزن القصيدة وفقاً لبحور الشعر المعروفة سواءً بحور الشعر العربي منها (كبحر الكامل وبحر الطويل وبحر الرمل وبحر السريع وبحر الخفيف والرجز وغيرها) أو أوزان الشعر الشعبي والمنبثقة عادةً من بحور الشعر العربي (كالوزن الفائزي والطويل والموشح والمجاريد والهجري والحدي والميمر والنصاري وغيرها) وهذا بحث يطلب في موارده ومضانه ، والالتزام بقافية واحدة أو تعدد القوافي وفق نظام ثابت كنظام المربعات في الفائزيات والنصاريات وغيرها .

فمن تنوّع القوافي ما ورد في قصيدة للسيد رضا الهندي :

بأبي الظامي على نهرالفرات دمه روَّى حدود المرهفات
لست أنساه وحيدا يستجير وياناديهم ألا هَلْ من مجير
ويرى أصحابه فوق الهجير صُرَّعا مثل النجوم الزاهرات

وكقصيدة الشيخ حسن الدمستاني الملحمية والتي منها :

ضمني عندك يا جداه في هذا الضريح علني يا جد من بلوى زماني أستريح
ضاق بي ياجد من فرط الاسى كل فسيح فعسى طود الأسى يندك بين الدكتين

والكثير من القصائد الشعبية ومنها قصائد الملا عطية الجمري والتي منها :

وحق راسك المقطوع ياشمس المضيّه للحشر ماننسى مصابك و الرزيّه
يحسين كلنا نعتني لك كربلا انزور بس ما نوصّلكم و ننظر ذيج لقبور
ندخل الحاير بالحنين و لطم لصدور وانحوم مثل الجلب لوفارق حميّه

ونشوف عد رجلك علي يحسين مدفون واتهيج زفرتنا و يقرّح ماي لعيون
ونتذكّر اوقوفك عليه ابقلب محزون محني الظّهر و اتصيح يَبني قطعت بيّه

٣-تؤدي الصور الشعرية دور أساسي في بيان مضامين الرثاء الحسيني وإحداث التأثير في المتلقي تفاعلا وإقناعاً بما يتناسب مع هذا النوع من الشعر وما له من خصوصيات فليست كل صورة ملاءمة للمنبر وليس كل خيال متاح لهذا الرثاء وما يتعلق به من مختلف الموضوعات والأغراض الشعرية كالحماسة والندبة وحتى المديح وغيرها .

ففي الصورة الشعرية يقول السيد جعفر الحلي عن العباس (ع) :

فمشى لمصرعه الحسين وطرفه بين الخيام وبينهم متقسمُ
ألفاه محجوب الجمال كأنه بدرٌ بمنحطم الوشيج ملثمُ

وهذا السيد رضا الهندي في بائيته الشهيرة يصوّر بطولة أنصار الحسين بصور بديعة :

أُسْدٌ قد اتخذوا الصوارم حلية وتسربلوا حلق الدروع ثيابا
تخذت عيونهمُ القساطل كحلها وأكفهم فِيضَ النحور خضابا
يتمايلون كأنّما غنّى لهم وقع الظُبى وسقاهم أكوابا

إلى أن يصل لتصوير حال الحسين بهذه الصور المشجية :

ظمآن ذاب فؤاده من غلة لو مسَّت الصخر الاصمّ لذابا
لهفي لجسمك في الصعيد مجردا عريان تكسوه الدماء ثيابا
تَربَ الجبين وعين كل موحد ودَّتْ لجسمك لو تكون ترابا

ومن شعر السيد حيدر الحلي لاحظ هذه الصورة عن الهجوم على بنات الوحي :

وحائرات أطار القوم أعينها رعبا غدات عليها خدرَها هجموا
كانت بحيث عليها قومها ضربت سرادقا أرضه من عزهم حرم
يكاد من هيبةٍ أن لا يطوف به حتى الملائك لولا أنهم خدم

وللسيد جعفر الحلي صورة الدين مع الحسين (ع) :

فما رأى السبط للدين الحنيف شفا إلا إذا دمه في كربلا سُفكا
وما سمعنا عليلاً لاعلاج له إلا بنفس مداويه إذا هلكا

وله في تصوير المعركة :

بيض الصفاح كأنهن صحائف فيها الحمام معنون ومترجمُ
إن أبرقت رعدت فرائص كل ذي بأس وأمطر من جوانبه الدمُ

إلى أن يقول في تصوير شجاعة العباس (ع) :

ما كر ذو بأس له متقدما إلا وفر ورأسه المتقدمُ
ماشد غضباناً على ملمومة إلا وحل بها البلاء المبرمُ

إلى أن يقول :

أوتشتكي العطش الفواطم عنده وبصدر صعدته الفرات المفعمُ
لو سد ذو الأقرنين دون وروده نسفته همته بماهو أعظمُ
ولو استقى نهر المجرة لارتقى وطويل ذابله إليها سلمُ

وفي صور الشعر الشعبي :

يقول ملا عطية الجمري في تصوير شجاعة العباس (ع) :

مثل الزّلازل مِنْحدر تسمع رعيده يتْبَخْتر امكيّف املاقى الموت عيده
حَتم القضا بسيفه وعزرائيل بيده ضيّق فضاها والعَساكر شافت اهوال

إلى أن قال :

اعيون المسامي من ظهور الخيل شلّع جم حيد مدرع خطف والعسكرتضعضع
كلما تراكم غيمها نوره يتشعشع فرّت وحتف الموت يلقط وين الابطال
فرّت وظنّت حل عليها نافخ الصّور تطلب الملجا و الرّمح يلعب بلصدور
والشّمس تتوقّد وقلبه من الظما يفور واتذَكّر سكينه واخوها وللنّهر مال

وهذا ملا علي بن فايز يصوّر حال الحسين (ع) :

جمرة غضا في كفّي اُو جمرة عليها واطي خيل تجول اِعليّه اُوخيل على فسطاطي
سهم العدى صايبني اُوسهمي عليهم خاطي وانا أدوّر واَحد يسرج على ميموني

ويقول بن نصّار في تصوير وحدة الحسين مخاطباً العباس في مصرعه :

يخوي انكسر ظهري و لا اگدر آگوم صرت مركز يخوي الكل لهموم
يخوي استوحدوني بعدك الگوم ولا واحد عليّه بعد ينغر

٤-في الغالب للقصيدة في المجلس وقت محدد إما في بداية المجلس أو في ختامه ولكل منهما خصائصه فقصدية البداية قصيدة قريض باللغة الفصحى وهي افتتاح المجلس وفيها تهيأة للمصيبة ومقدمة لأبيات النعي الشعبية وقصيدة الخاتمة في غالبها تكون شعبية ويكون فيها تفصيل المصيبة بشكل أكثر وجرعات الحزن تكون فيها أكبر .

٥-القصيدة التي تتم قراءتها في المنبر محدودة في عدد الأبيات لتتناسب مع الوقت وكثيراً ما يتم قراءة أجزاء من النص الأصلي إذا كان طويلاً كقراءة مقاطع منملحمة الدمستاني ، ويحسن بمن يكتب خصيصا للمنبر مراعاة ذلك (وعادة ما يكون عدد الأبيات ١٠ أبيات تزيد وتقل)

٦-القصيدة المنبرية قصيدة مركزة في صياغة مشاهدها وتناولها لموضوع ومشهد محدد وشخصية معينة وما يتعلق بها في العادة والكثير منها يجري مجرى الوصف او السرد والرواية الممزوجة بالحوار في الأغلب بما للسرد من عناصر المكان والزمان والأحداث والحبكة والعقدة وبنية سردية

مـن وضـع بدايـة وسـياق تحـول ووضـع الختـام سـواءً في الشـعر الفصيـح و الشـعبي .

أمّـا عـن تخصيـص القصيـدة بموضـوع وشـخصية محـددة يقـول السـيد رضـا الهنـدي في مسـلم ابـن عقيـل (ع) :

لَـوَ انَّ دموعـي اسـتهلت دمـا لـمـا أنـصـفـت بـالبكا مـسلما
قـتـيـل أذاب الـصـفـا رزؤه وأحـزن تـذكـاره زمـزما

ويقول الشيخ عباس الريس الدرازي البحراني في هلال عاشوراء :

هـلالٌ تـجـلـى ونـاع نـعـى لآل الـرسـول فـتـىً أروعـا
تـقـوس مـنـحـيناً كـالـحسين يـروم لـسهم الـحشى منزعا

وله في شهادي أولاد مسلم (ع) :

عـلـي ولـدَي مسـلم بالـدم بكيـتُ عـلـي ولـدَي مسـلم
عـلى رزءِ من ليـس يجرِّي علىَ لسـانٍ مثيـلٌ لـه أو فـمَ

وفي الشعر الشعبي عن تفصيل مشهد محدد يقول ملا عطية الجمري :

وصّـل جـواد حسـين والحالـه شجيّـه وفـرّت مـن الخيمه البنات الهاشميّه

حيـث يفـرد القصيـدة عـن هـذا الموقـف المحـدد وهـو الحـال بعـد رجـوع مهـر الحسـين خاليـا مـن الميـدان .

أمّـا عـن النظـم علـى النمـط السـردي بمـا في السـرد مـن شـخصيات وزمـان ومـكان وسـرد للأحـداث يقـول الشـيخ الدمسـتاني :

فعـلا صهـوة ثـان فأبـى أن يرحـلا فدعـى في صحبـه يـا قـوم مـا هـذي الفـلا
قيـل هـذي كربـلاءٌ قـال كـربٌ وبـلا خيمـوا إن بهـذي الارض ملقى العسكريـن

ويقول السيد رضا الهندي :

ثـمّ لـمّا نـال الـظما مـنه والشـمسِ ونـزف الـدمـا وثـقـل الـسـلاح
وقـف الـطـرف يسـتريح قـلـيلاً فـرمـاه الـقضـا بسهـم مـتـاحَ

وأمـا الشـعر الشـعبي فطافـح بالسـرد بعناصـره المنوعـة ومنهـا الحـوار والـذي تنـوع في هـذه السـرديات الشـعبية بـين حـورات حقيقيـة جـاءت علـى لسـان الحـال مثـل قـول مـلا عطيـة الجمـري في حـوار أولاد مسـلم مـع السـجّان :

خفّـف عـلينا الـقيد وارحمنـا يـسجّان احـنا مـن اهل بيت النّبي وبينا الدّهرخان

ومنها الحوارات الخيالية كحوار الحسين مع كربلاء في شعر ملا عطية :

وجّـه سـؤال حـسين لـرض الـغاضريّه أريـد انشْـدك كربـلا ردّي عـليّه

وكحوار كربلاء مع السيدة زينب من شعره أيضا :

ردّت على الحورا الجواب الغاضريّه نلت الفخر بيكم يَسادات البريّه

٧- معجم المنبر معجم خاص ومفرداته مفردات مختارة بعناية متناسبة مع قداسة المعصوم وخصوصية الرثاء واعتبار أجواء المجالس الحسينية ويزيدها ألقاً الاقتباسات من الروايات والأحاديث والمأثور من الكلام والحكم والآيات .

أما عن معجم الرثاء تأمل وفاء السيد هاشم الستري البحراني لهذا المعجم المهيمن على نصه في رائيته الشهيرة حيث يقول :

قم جدد الحزن في العشرين من صفر ففيه ردت رؤوس الآل للحفرِ
آل النبي التي حلت دماؤهم في دين قوم جميع الكفر منه بريَ
يا مؤمنون احزنوا فالنار شاعلة ترمى على عروة الإيمان بالشررِ
ضجوا لسفرتهم وابكوا لرجعتهم لا طبتِ من رجعةٍ كانت ومن سفرِ

وعن الاقتباس من السيرة وعباراتها يقول السيد رضا الهندي في حوارية الحسين مع القوم :

يدعو ألستُ أنا ابن بنت نبيّكم وملاذكم إن صرف دهر نابا
هل جئت في دين النبيّ ببدعة أم كنت في أحكامه مرتابا
أم لم يوصِّ بنا النبيُّ وأودع ال ثقلين فيكم عترة وكتابا
إن لم تدينوا بالمعاد فراجعوا أحسابكم إن كنتم أعرابا
فغدوا حيارى لا يرون لوعظه إلاّ الاسنَّة والسهام جوابا

ويقول السيد حيدر الحلي :

وبنو السفاح تحكموا في أهل حي على الفلاح

ويقول الشيخ الدمستاني :

بينما السبط بأهليه مجداً في المسير فإذا الهاتف ينعاهم ويدعوا ويشير
إن قدام مطاياهم مناياهم تسير ساعة اذ وقف المهر الذي تحت الحسين

٨- يزين القوافي ويجمّلها ويزيدها فاعلية سهولتها وسلاستها وتطعيمها بالقوافي المتوقعة مما يزيد من فرص تجاوب المستمعين معها وسهولة ترادها .

نجد ذلك في قول السيد جعفر الحلي :

ويُقَدَّمُ الأمويُّ وهو مؤخرٌ ويُؤخَّرُ العلويُّ وهو مُقَدَّمُ

وفي قول الدمستاني :

جد صفو العيش من بعدك بالاكدار شيبْ وأشاب الهم رأسي قبل أبان المشيبْ

وفي قوله :

فمن الواجب عيناً لبس سربال الأسى واتخاذ النوح ورداً كل صبح ومسا

وقوله :

فدعى في صحبه يا قوم ما هذي الفلا قيل هذي كربلاءٌ قال كربٌ وبلا

ومن الشعر الشعبي عن الأكبر في شعر ملا عطية الجمري :

هيّجت نيران قلبي يا شبيه المصطفى نور عيني عقب عينك يا ضيا عيني انطفى
بعدك آنا العمر ما ريده و على الدّنيا العفا عذب موتي من عقب فرقاك والعيشه عذاب

وله عن الرضيع :

طلعت امّه من المصيبه تصرخ ابْحالٍ فظيع طفل ومخضّب ابدمّك آه يعبد الله الرّضيع

وقوله :

تصيح بويه اسقيت اخيّي وجيتني ابفاضل الماي
بالعجل بردّ غليلي امْن الظّما ذايب حشاي

وللملا عطية عن العباس في قصيدته :

قطعوا العدا اجفوفي يخويه والعلم مال بالعجل شوف البيرقك يحسين شيّال

يقول :

والله فلا يطيح العلم مادمت موجود ملزوم أنشره والزمه بْصَدري والزْنود
مَيْطيح حتّى يطيح أخوك بضربة عمود ينكسر جيشك جان خدّي توسّد رمال

ومن شعر الشيخ بن نصّار :

جابه و مدده ما بين اخوته بچى عندهم يويلي وهم موته
بس ما سمعن النسوان صوته إجت سكنه تصيح الله أكبر

٩- من أهم متطلبات القصيدة الرثائية مدى فاعلية النص منبرياً في لغته وأسلوبه من حيث :

أ-**الوضوح** : باستخدام لغة مفهومة وواصلة تكون مفتاح باب التفاعل بين الخطيب والمستميعن .

ب- **الترابط** : بحيث يكون النص منسجم ومتسلسل بروابط لفظية ومعنوية تجعله متماسكاً وغير مفكك وغير مشتت ويتجلى ذلك في النصوص السردية بشكل أوضح حيث القصة المتسلسلة .

مثل تسلسل أبيات الشيخ بن نصّار في قوله :

من ذا يقدّمُ لي الجوادَ ولامتي والصَّحْبُ صرعى والنصيرُ قليلُ
فأتتهُ زينبُ بالجوادِ تقودُهُ والدّمعُ من ذكرِ الفراقِ يسيلُ

وتقــولُ قـد قطّعـتَ قلبـي يـا أخـي حُـزنــاً فياليــتَ الجبــالَ تــزولُ

ج-**التأثيـر** : وهـو النتيجـة المرجـوة مـن القصيـدة بإحـداث التأثيـر والتفاعـل مـع المتلقـي والـذي يـؤدي إليـه النـص بـكل صـوره وأسـاليبه ومفرداتـه ولغتـه وفكرتـه .

وكل مـا سـلف مـن خصائـص ينبغـي أن تكـون في خدمـة منبريـة القصيـدة ومناسـبتها للمجالـس الحسـينية وأجوائهـا البكائيـة العاطفيـة مـن جهـة ومـن جهـة رفـع رايـة قيمهـا وهـي قيـم الديـن المحمـدي الأصيـل .

تم بحمد الله
عبدالله القرمزي
٢٠٢٤م